تطور غرض الشكوى في الشعر العربي عبر العصور

The Evolution of the Theme of Complaint in Arabic Poetry Across the Ages

Dr. Yasmin Akhtar

Assistant professor Arabic department IIUI islamabad.
Email: yasmin.akhtar@iiu.edu.pk

Dr. Qasim Azam Bhutta

Assistant professor Arabic department NUML Islamabd
Email: qabhutta@numl.edu.pk

Dr. Farah naz

Assistant professor Arabic department NUML Islamabd
Email: farah.naz@numl.edu.pk

Abstract:
The theme of complaint is one of the significant poetic themes that reflect human conditions and suffering across different eras. It evolved over time, adapting to the changing social, political, and economic circumstances, giving it diverse dimensions depending on the context of each era.
In the Pre-Islamic Era, complaint was linked to the harshness of nature and time, as poets expressed their struggles with drought and deprivation.
In the Islamic Era, individual complaints decreased under the influence of Islamic values, while complaints about injustice and poverty emerged as part of social responsibility.
In the Abbasid Era, the scope of complaints expanded to include poverty, illness, envy, and the poets' frustrations with the complexities and uncertainties of life.
In the Andalusian Era, complaints reflected a connection with nature and political events, especially during the decline of Muslim rule and the fall of Al-Andalus.
Key words: *Evolution, Theme, Complaint, Arabic Poetry, Across the Ages*

المقدمة

الشكوى تعبير عن آلام الإنسان المكنونة وأحزانه المؤلمة ومشاكله التي يواجهها في الحياة نفسيّة كانت أو اجتماعية أو سياسيّة. فأدرس أوّلا مفهوم الشكوى لغة لإدراك دلالات الشكوى المختلفة من الاشتقاقات المتعدّدة, وثانياً أتناول مفهوم الشكوى اصطلاحا في ضوء آراء العلماء والأدباء.

أ- مفهوم الشكوى لغة

يقول الخليل الفراهيدي[1]:" شكو,الشكوى: الاشتكاء تقول: شكا يشكو شكاة , ويستعمل الاشتكاء في الموجدة والمرض.هو شاك: مريض، وقد تشكى واشتكى.وشكا إلى فلان فلانا، فأشكيته، أي: أخذت ما يرضاه.والشكو: المرض نفسه".2

ويزيد الجوهري[3] (ت-393 هـ):"أشكيته أيضا، إذا أعتبته من شكواه ونزعت عن شكايته وأزلته عما يشكوه ؛ وهو من الأضداد. قال الراجز:

تمد بالأعناق أو تلويها وتشتكي لو أننا نشكيها" 4

ويذكر الزبيدي[5] مضيفا أنّ" الشِّكايَةُ معناها الإخبار بضعْفِ حالِهِ . وشَكَى فلاناً : إذا أَخْبَره بسُوءِ فِعْلِه به.ثم ينقل قول الرَّاغب إن الشِّكايَة إظْهارُ البَثِّ ، يقالُ شَكَوْت واشْتَكَيْت ومنه قوْلُه تعالى : ﴿ إنماأشكو

1- هو الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن الإمام , صاحب العربية , ومنشئ علم العروض , البصري , أحد الأعلام. ولد في البصرة عام (100هـ) ونشأ عابدًا لله تعالى، مجتهدًا في طلب العلم، واسع المعرفة، شديد الذكاء. وتوفي سنة 170هـ . انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي , تح: مصطفى عبد القادر عطا, منشورات محمد على بيضوي , دار الكتب العلمية بيروت – لبنان , الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م مج 2 ص: 8, 9 , 10.وكذلك راجع: وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان لابن خلكان, تح:الدكتورإحسان عباس , دارصادر بيروت (بدون تاريخ), مج:2 ص:244.

2- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي, تح: د . مهدى المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي , مؤسسة دار الهجرة- إيران - الطبعة الثانية 1409 هـ , في مادة (شكو) جـ 5 ص:388 .

3- هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري, ابن أخت الفارابي, بدأ دراسته عند خاله في موطنه " فاراب"ومات سنة 393هـ . انظر: تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان, نقله إلى العربية د.عبد الحليم النجار, دارالمعارف -1119 كورنيش النيل – القاهرة الطبعة الخامسة , جـ 2(بدون تاريخ), ص: 259.

4- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري تح: أحمد عبد الغفور عطار , دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م , من مادة (شكا) جـ 6 ص: 2394 .

5 - محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى، من علماء اللغة والحديث والرجال والأنساب، ومن كبار المصنفين. من مصنفاته: تاج العروس في شرح القاموس، إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي.وتوفي سنة 1205هـ. انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي, دار العلم للملايين – بيروت الطبعة السادسة 1984م, جـ7 ص:70. ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي – بيروت جـ11 ص:282.

بَثِّي وحُزْنِي إلى الله ﴾[1] وقوْلُه تعالى: ﴿ وتَشْتَكِي إلى الله ﴾[2] وأَصْلُ الشَّكْو فَتْح الشَّكْوَةِ . وإظْهارُ ما فيها ، وهي سِقاءٌ صغيرٌ ، وكأنَّه في الأصْلِ اسْتِعارَةٌ كقَوْلِهم : بَثَثْتُ له ما في وِعائي ، ونَفَضْتُ له ما في جرابي ، إذا أظْهرْتَ ما في قَلْبِكَ ".3

أما أصحاب المعجم الوسيط فيكتبون :"(اشتكى) شكا و مرض واتخذ الشكوة ولجأ إليه ليزيل شكواه ويستشهدون بالآية القرآنية : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾[4]

(تشاكى) القوم شكا بعضهم إلى بعض ,و تشكى أي اشتكى , و الشكاة أي الشكوى و المرض و العيب , و(الشكوى) التوجع من ألم و نحوه" [5].

ويظهر من كلّ هذا الكلام أنّ جميع الاشتقاقات لكلمة الشكوى تؤدّي معنى الوجع والألم والحزن والمرض والعيب وإظهار ما يُبَثُّ في الإنسان و إخْبَار بسُوءِ الفِعْلِ به إلاّ كلمة أشكى بإضافة الهمزة تفيد إزالة هذا الحزن والهمّ ما يرضى به الإنسان.

ب- مفهوم الشكوى اصطلاحا

وقد ذكرت في هذا البحث مفهوم الشكوى لغةَ, ولكن اللغويين لم يعتنوا بالتعريف الاصطلاحي وإنما الباحثون المعاصرون وضعوا تعريفات في إطار محدد.

إنّ الشكوى ميل فطري عند الإنسان يلجأ إليه عند الشعور بالألم أو الحزن أو اليأس وما يوافق ذلك من إحساس بالاضطهاد أو الطغيان أو الظلم أو الاضطراب في الحياة الاجتماعية والسياسيّة والفكرية ويخرج الإنسان هذا الشعور لدفع الظلم الواقع عليه من الأفراد أو من المجتمع.

عرّف الأستاذ بيان على عبد الرحيم:"الشكوى هي تعبير عن الحرمان والإحساس بالظلم وتظهر عندما تتعقّد ظروف الإنسان[6]" وقسّم الشكوى إلى قسمين الشكوى الخاصة والشكوى العامة .

6- سورة يوسف , الآية: 86.

7- سورة المجادلة , الآية :1.

[8]- تاج العروس من جواهرالقاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي , تحقيق: مجموعة من المحققين ,: دار الهداية , من مادة(شكو , شكى) جـ 38 ص: 388. انظر:المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني,تحقيق وضبط :محمدسيد كيلاني,ن:نورمحمدأصح المطالع, كارخانة تجارت كتب آرام-باغ كراتشي,ص:266.

9-- سورة المجادلة , الآية :1.

[5] - المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار, تح: مجمع اللغة العربية , من مادة (شكا) جـ1 ص:1021

[6] - مقالة " شعر البصرة في القرن الرابع الهجري" للأستاذ بيان علي الرحيم, ص:1 http://www.basrahcity.net/pather/report/141.html

فالشكوى الخاصة : تتناول المسائل الخاصة إذ يشكو الشاعر مما يتصل بفقدان الشباب أو الآمال غير المحققة وغيرها وأحيانا قد تخرج من خصوصيتها إلى نطاق إنساني واسع حيث إنها مشكلة تواجه البشر جميعا.

أما الشكوى العامة :فهي تضمّ شكوى الزمان وذمّ الدنيا".[1]

وكذلك يقدّم لنا الباحث الآخر الدكتور محمد حسين الأعرجي نظرة عامة حول مفهوم الشكوى ويقسمها إلى قسمين أيضا: 1- الشكوى الخاصة. 2- الشكوى العامة

أولا:" الشكوى الخاصة : وهي تعني بالإنسان وما يعانيه من مشاكل ذاتية لا تتعدى دائرة شيخوخته وهجر حبيبته وما إلى ذلك.

ثانيا: الشكوى العامة : ومن مظاهرها شكوى الزمان وتغير أحواله بعد أن ضاعت مقاييسه, واضطربت موازينه, وقد يكون الفقر الناجم عن التدهور الاقتصادي سبب شكوى الشاعر".2

وإنّ الإنسان خلق في كبد, وهولا يستقر في حالة واحدة مستقرة, بل يكون مضطرا أن يلجأ إلى الشكوى لما ينتابه الألم والمرض والظلم وإبداء الأوجاع, لذا تعكس إحساسات المرء الحزينة كالضعف والانكسار والظلم. وتزيد الشكوى والحسرة في الأحوال المؤلمة.

"أما مجال الشعر فهو الشعور, سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانب من جوانب النفس , أو نفذ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون , أو مشكلة من مشكلات المجتمع, تتراءى من ثنايا شعوره وإحساسه".[3]

و"الشكوى فن من فنون الشعر الوجداني العميق, وهي بعد ذلك لون من ألوان الشعر المتجدد لاتساع نطاقها بين الشعراء نتيجة للحياة الاجتماعية القاسية في ذلك العصر, وبخاصة شكوى الزمان أو " الدهريات" وهناك من فروع هذا الفن شكوى الأهل والأصدقاء, وندرة الوفاء , واختفاء المعروف بين الناس".[4]

فالشكوى أبرز الفنون الشعرية وأصدقها لتصوير عواطف الناس المشحونة بالتعب وقضايا إنسانية ومشاهد اجتماعية وهموم بشرية.

---

[1] - نفس المرجع والصفحة كذلك.

13- جريدة عراقية " طريق الشعب", العدد 87 السنة 73 الأربعاء 12 كانون الأول 2007م, ص:7 .

[3] - النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال , دار نهضة مصر -الفجالة – القاهرة (بدون تاريخ) ص: 356.

15- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين د. مصطفى الشكعة , عالم الكتب بيروت1981م , ص: 69.

في عهد الجاهلية كان الشعر العربي ديوان العرب وأصح العلوم عندهم , وكان وسيلة الرفعة من شأن القبيلة وإهانتها وحطّ قدرها وقيمتها.

وفي صدر الإسلام كان الشعر طريقة من طرق المحافظة على أسس الإسلام وقوانينه ومناهجه ضد مشركي مكة. وكذلك كان الشعر في عهد بني أمية وفي العصر العباسي وسيلة توصيل الآراء والمواقف السياسية والقبلية والفكرية المتنازعة مدافعة عن مبادئها وأغراضها وأهدافها في مواجهة مخالفيها وخصومها.

وكان للشعر العربي دور أساسي في تقدّم الأمة الإسلامية أدبا وفكرة وسياسة.فتفنّن الشعر شكلا ومضمونا وأسلوبا ولغة عبر الزمن, والشكوى فن من فنون الشعر العربي التي قرضها كثير من الشعراء عما يجيش في أكبادهم من الهموم والأحزان نتيجة الخلل الواقع في الحياة السياسية والاجتماعية أو الفردية أو الاقتصادية, ولكن الشكوى تنوّعت وتحدّدت باختلاف الأوضاع العصرية مع مرور الزمن. وهي غرض مستقل من الأغراض الشعرية التي باح بها الشعراء عن عواطفهم الرقيقة وإحاسيسهم المرهفة.

العصرالجاهلي

يمثّل الشعر العربي الجاهلي نموذجا رائعا لحياة العرب الاجتماعية والسياسية والأدبية وقام العلماء بحفظ هذه الثروة القيمة. وما كانت الشكوى اتجاها مستقلا بل كانت تضم الأغراض الأخرى كالغزل والمدح والوصف في القصيدة ولكنّها قريبة جدا من الرثاء والهجاء والوصف والغزل " وعرض امرؤ القيس[1] الشاعرالشكوى من الليل الطويل الذي ثقل عليه لسبب الهموم والأحزان:

وليل كموج البحر ارخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي[2]

وفي العصر الجاهلي ماكان الشعراء يشكون كثيرا لأنهم يفتخرون ويتحمسون لقبائلهم ويكثرون أمجاد هم وأعمالهم لكنّهم يبكون على الأطلال والدور الداثرة شاكين لفراق أحبائهم وحبيباتهم وآلام حبّهم وعداوة الأصدقاء والأقرباء.

---

[1] – هو حندج بن حجر , يكنى أبا الحارث , وأبا وهب, ويلقّب بالملك الضليل, وذي القروح, وكان من قبيلة كندة , ومن بيت السيادة فيها , وهي قبيلة يمنية , وكان أبوه وأعمامه ملوكا على قبائل من العرب,ويظن أنه ولد في أوائل القرن السادس للميلاد , وليس مكتوبا بالضبط تاريخ موته, ويغلب أن يكون بين سنتى 530/ و540. انظر: تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعى , مكتبه الايمان , راجعه وضبطه : عبدالله المنشاوي و مهدي البحقيري , مكتبة الإيمان المنصورة – أمام جامعة الأزهر, الطبعة الأولى 1997م جـ 2 ص: 130 , وتاريخ الأدب العربي –العصرالجاهلي للدكتور شوقي ضيف دارالمعارف– القاهرة , الطبعة الرابعة والعشرون 2003م ص: 232, 243. وديوان امرئ القيس ,اعتنى به وشرحه:عبد الرحمن المصطاوي,دارالمعرفة بيروت–لبنان,الطبعة الثانية 1425هـ–2004م,ص:9.

[2] – ديوان امرئ القيس ,ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي, درالكتب العلمية بيروت–لبنان,الطبعة الخامسة1425هـ–2004م ص:117.

ويشكو **زهير بن أبي سلمى**[1]:

وكانت تشتكي الأضغان منهـا اللجون الحبّ واللحج الحرون2

ويشكومن تكاليف الحياة أيضا:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حـولا لا أبالك يسأم3

واشتكى الشعراء الجاهليون لأجل التخفيف والتسلية من الألم الداخلي والظلم الواقع عليهم من الفرد أو من المجتمع. وهم لا يتكلفون ولا يبالغون في قولهم, بل يعبرون عن تجربة صـادقة في أشـعارهم وكانوا يخلصـون لفنّهم وذلك "من أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي أنّه كامل الصياغة, فالتراكيب تامّة ولها دائما رصيد من المدلولات تعبر عنه, وهي في الأكثر مدلولات حسية, والعبارة تستوفي أداء مدلولها, فلا قصور فيها ولا عجز".[4]

وكذلك شكا الشعراء الجاهليون من الدهر ونوائبه, ومن الأيام ومن أهل الزمان ومن الأقارب لسوء معاملتهم. كما يقدم الشاعر **عنترة بن شداد**[5]

أُعـاتِبُ دَهـراً لاَ يلِـينُ لعاتبِ وأطْلُبُ أَمْناً من صُرُوفِ النَّوائِبِ

وتُوعِـدُني الأَيَّامُ وعْداً تَغُرُّني وأعـلمُ حقـاً أنهُ وعـدُ كاذبِ

خَدَمْتُ أُناساً وَاتَّخَـذْتُ أقاربا لِعَوْنِي وَلَكِنْ أصْبَحُـوا كالعَقارِبِ6

[1] – هو زهيربن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني , يرتفع نسبه إلى نزار, كان ورعا حكيما , وقد ورث زهير الشعر عن أبيه وخاله . وكان شاعرا مجيدا كما كان سـيدا شـريفا ثريا, وقد عاش زهير في خلال الحروب داحس والغبراء التي نشـبت بين عبس و ذبيان وانظر: تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي , ج 2 ص: 130.

73– أي كان في صـدورها التواء على أصـحابها وامتناح لنشـاطها , فكأنها ذات حقد وعداوة. راجع : ديوان زهيربن أبي سـلمى , دارصـادر بيروت,ص: 102.

74– المصدر نفسه,ص: 86.

[4]– تاريخ الأدب العربي, د. شوقي ضيف–العصرالجاهلي , دارالمعارف–1119 كورنيش النيل– القاهرة , الطبعة الرابعة والعشرون ص: 226.

[5] –هو أبو المغلس عنترة بن عمرو بن شـداد العبسـي, فهو من هجناء العرب وأغربهم, وقتل حوالي 615م. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص:58.

77– شرح ديوان عنترة بن شداد تحقيق بدر الدين حاضري محمد حمامي , دار الشرق العربي , بيروت , الطبعة الأولى 1412هـ , ص:

وكما يعلي شكوى الأقرباء لأشدّ معاملتهم وأسوأ, على نحو يقول **طرفة بن العبد**[1]:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهتد[2]

يقول **الحارث بن حلزة**[3]:

لما جفاني أخلائي وأسلمنـــي دهري ولحم عظامي اليوم يعترق4

يشكو من تنكرالأصدقاء لما ساءت حاله وبات فقيرا.

والشعر الجاهلي كان تعبيرا صادقا وسجلا حقيقيا عن حياة العرب وأحوالهم النفسية والاجتماعية.

العصرالإسلامي

إنّ نهضة الشعر قد استمرت بعد الإسلام, إن لم تكن قد تقدمت خطوات , بما هيأ لها الإسلام من أسباب التقدم والنهوض.**فابن خلدون**[5] مثلا يفضـــل شـــعرالإســـلاميين على شـــعر الجاهليين فيقول: "إنّ كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في من ثورهم[6] ومنظومهم,فإنّا نجد

[1] – هو طرفة بن العبد بن سـفيان , نسـبه المفضـل إلى معد بن عدنان و ويقولون إنه أشـعر الشـعراء بعد امرئ القيس , تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي , جـ 2 ص: 130.

79– ديوان طرفة بن العبد,تح : سيف الدين الكاتب , دار مكتبة الحياة –بيروت(بدون تاريخ),ص:25.

[3] – هو ابن يشـــكر بن وائل , فارس مقدام وشـــاعر مجيد , وســـيد من ســـادات بكر,كما كان عمرو بن كلثوم ســـيد تغلب .وانظر: ص:183.وانظر: أشـعار الشـعراء السـتة الجاهليين –مختارات من الشـعر الجاهلي لأعلم الشـنتمري, شـرح وتحقيق: د– محمد عبدالمنعم خفاجي,دارالجيل – بيروت,الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م ,جـ 1 ص: 182.

81–الأخلاء: جمع خليل وهو الصـديق والرفيق. اعترق العظم: جرّد ما عليه من اللحم وأكله.– ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم,شرح مجيدطراد, دارالجيل بيروت,الطبعة الأولى1418هـ–1998م ,ص:70.

[5] – هو أبو زيد عبدالرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون, ينتهي نسبه إلى وائل من قبائل كندة. ولد في أول رمضان سنة 732هـــ بتونس. وحفظ القرآن الكريم. ومات في رمضان سنة 808هـــ .ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن على الشوكاني, الملحق التابع للبدر الطالع للسيد الحفاظة النسابة المؤرخ محمد بن محمد بن يحيى زبارة اليمني , بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر بالقاهرة ,الطبعة الأولى 1348هـ جـ1 ص:337,338.

[6] – هكذا وردت في مصدرها والصواب" منثورهم".

شـــعر **حســـان بن ثابت**[1] وعمربن ربيعة[2] .....أرفع طبقة في البلاغة من شـــعر**النابغة**[3] وعنترة... وزهير.والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن والحديث ,اللذين أعجزا البشـــر عن الإتيان بمثلهما. فنهضـــت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية"[4]

عندما جاء الإسلام كثر اهتمام المسلمين ببلاغة القرآن وفصاحة السنّة المطهرة , لكن الشعراء لم ينصرفوا عن نظم الشعراء, بل اتخذوه وسيلة الدفاع عن الإسلام ضدّ المشركين حسب تحديد موقف القرآن الكريم من الشـــعر.قال تعالى : ﴿ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون مالايفعلون إِلَّاالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِمَاظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ 5.

و كثرت الشكوى بسبب الحروب بين الكفار والمسلمين, وزادت المشاكل للنفي والهجرة والقيد و إصابة الجروح والقتلى, وشكا الشعراء بسبب الحنين إلى أوطانهم وأهلهم وبسبب الجروح الموجعة الموصولة من الغربة والقتال. وتحول مسار الشكوى في هذا العصر إلى الإسلام , والإيمان به حين اشتكى بعض الشعراء إلى الله عز وجل لكربتهم وأحزانهم لأنه هو الملجأ والمأوى والمعين.

وقال **خبيب بن عدي**[6] رضي الله عنه حين حاول الكفار صلبه:-

---

[1] -- هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري , ولد بالمدينة ونشأ في الجاهلية , وعاش على الشعر, فكان يمدح المناذرة والغساسنة ويتقبل صلاتهم. وكان حسان في الجاهلية شاعر أهل المدن , وفي البعثة شاعر النبوة, وفي الإسلام شاعر اليمانية. وكان يغلب في شعره الفخر والحماسة والمدح و الهجاء, وتوفي سنة 54هـ.تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص:152.

[8]5- هو أبو أمامة زياد بن معاوية , ولقب بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى احتنك, ثم فجيء الناس بشعر بذّ به الشعراء , وكان له منه مادة لا تنقطع فشبهوه بالماء النابغ وهو أحد سراة بني ذبيان ومن ذوي مثالتهم, ولكن تكسبه بالشعر غض من قدره وطأطأ من إشرافه.وكانت وفاته في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات, ص: 49,50.

[3] - هو أبو أمامة زياد بن معاوية , ولقب بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى احتنك, وهو أحد سراة بني ذبيان ومن ذوي مثالتهم,ولكن تكسبه بالشعر غض من قدره وطأطأ من إشرافه. وكانت وفاته في السنة الثامنة قبل الهجرة. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص:49, 50.

[4] - مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون , دارالشعب مصر, ص:544. انظر: الإسلام والشعر , د. سامي مكي, عالم المعرفة , سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها العباس الوطنية للثقافة والفنون والآداب – الكويت , صدرت السلسلة في يناير 1978م بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923م – 1990م , ص: 16-17.

[88]- سورة الشعراء , الآية 225-227

[6] - هو ابن عامر بن مجدعة بن جحجبا الأنصاري الشهيد ذكره ابن سعد فقال: شهد أحدا,وكان فيمن بعثه النبي (ص) مع بني لحيان , فلما صاروا بالرجيع, غدروا بهم , واستصرخوا عليهم, وقتلوا فيهم, وأسروا خبيبا, وزيد بن الدّثنة , فباعوهما بمكة, فقتلوهما بمن قتل النبي (ص) , من قومهم , وصلبوهما بالتنعيم. انظر: وسيرأعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي,حقق نصوصه , وخرّج أحاديثه,

إلَى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي[1]

يشـــكو إلى الله غربته وكربته وعجزه وقلقه لغلبة الأعداء و ضـــعف قوته وقلة حيلته عندما حاصـــره الكفاروأظهروا عداوتهم وعنفهم رغم جزعه الطويل.

وعرض الإسلام فكرة واضحة عن الحياة والموت ومن بعدهما البعث والحساب والجنة والنار وكان الله قادرا على تصريف كل هذه الأمور, وهو الذي يهلك ويفني . وأبطل الإسلام المعتقدات الجاهلية أنّ الدهر يملك قوة خارقة , ويتضح ذلك من خلال شعر **اليربوعي**[2] حين يرثي فقيده:

إلي الله أشكو لا إلى الناس فقده ولوعة حزن أوجع القلب داخله "[3]

ويشتكي الشاعر يزيد بن قيس بن يزيد بن الصّعق يذكّر الخليفة عمر[4] رضي الله عنه بمكانته ومسؤوليته تجاه الولاة الذين يختلسون الأموال قائلا :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فأنت أمين الله في النهي والأمر

وَأَنْتَ أَمِيْنُ الله فيْنـا وَمَنْ يَكُنْ أميناً لربّ النّاس يَسْلَم له صَدْرى[5]

وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد, مؤسسة الرسالة للطباع والنشر والتوزيع- بيروت شارع سوريا الطبعة الأولى 1401هـــ - 1981م جـ 1ص: 246.

90- دلائل النبوة للبيهقي لأحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر , دار الكتب العلمية ، دار الريان للتراث - الطبعة الأولى - 1408 هـ - م1988 م , جـ 3 ص:404.وانظر:المعجم الكبيرللطبراني, المحقق: حمدي السلفي دار الصميعي - الرياض ,الطبعة الأولى - 1415 هـ - 1994م, جـ 5 ص:338 .

[2] – هوالمشمر دل ابن الشريك اليربوعي من شعراء العصر الأموى . انظر:الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تح: إبراهيم الآبياري , جـــ 13 ص: 4863.

[3] 92- المصدر نفسه ص: 4865.

[4] – هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرظ بن رياح بن عبدالله بن رزاح بن عدي بن كعب , وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب النبي . وإنما سمي الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل , وكنيته أبو حفص , وهو أول من سمي بأمير المؤمنين. وكان متواضعا , خشن الملبس , شديدا في ذات الله , واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه ,كل يتشبه به ممن غاب أو حضر. وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه , فما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين , فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الأربعاء . وقتل في الصلاة الصبح ,وهو ابن ثلاث وستين سنة , ودفن مع النبي وأبي بكر , عند رجلي النبي . انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي , شـــرحه وقدم له : الدكتور مفيد محمد قميحة أســـتاذ الأدب العربي في الجامعة اللبنانية , دار الكتب العلمية بيروت – لبنان , الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م جـ 2 ص: 333, 334.

[5] – الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام للدكتور علي الشعيبي (نسخة إليكترونية مأخوذة من المكتبة الشاملة) جـــ 1 ص:217.

كما قدّم الشعراء" شكوى بعض الجنود من الولاة والعمال حين يخونون فيما ائتمنوا عليه, على نحو ما نجد عند يزيد بن الصعق, فقد أرسل بشكوى طويلة إلى عمر بن الخطاب من أصحاب الخراج ,يقصّ عليه كيف أثروا ثراء غير مشروع من أعمالهم التي يتولونها ومما يأخذون لأنفسهم من المغازي, وفيها يقول :

نؤوب إذا آبوا ونغزو إذا غزوا فأنّى لهم وفر وليس لنا وفر[1]

وقد أثّر الإسلام تأثيرا بارزا في خصائص الشعر الفنية لفظا ومعنى وفكرة وصورة وخيالا.واستعان الشعراء بأساليبه البارعة وألفاظه العذبة وتخلّصوا عن الألفاظ الجافّة والمعاني الجامدة التي حفل بها العصر الجاهلي وكان للشعر أسلوب سهل واضح. ويلجأ الشاعر إلى الله حين يشكو من حبيبته ,لأنه تعلّم من تعاليم الإسلام أن الشكوى لله وحده , يقول **جميل بثينة**[2] :

إلى الله أشكو , لا إلى الناس حبها ولا بد من شكوى حبيب يروع

ألا تتقيّن الله فيمن قتلته فأمسى إليكم خاشعا يتضرع3

وكذلك في العصر الأموي صوّر الشعراء الأوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة حين وزّعت الأموال والمناصب السياسية.وتكلّموا عن الظلم والجور واليأس الذي وجد في المجتمع, ويعلي **الشاعرالراعي النميري**[4] الشكوى إلى الخليفة عبد الملك بن مروان[5] لشدّة الضرائب التي جلدوا العاجزين عن دفعها:

---

[1] – تاريخ أدب العربي– العصر الإسلامي لشوقي ضيف , دارالمعارف – 1119 كورنيش النيل – القاهرة ج. م . ع 2002م الطبعة العشرون, جـ 2 ص: 66.

[2] – هو جميل بن عبدالله بن معمر بن الحارث بن ظبيان , أغلب الظن أنه ولد في أواخر خلافة عثمان بن عفّان أو بعدها بقليل, ويجمع الرواة على أن جميلا مات بعيدا من وادي القرى , غريبا عن وطنه وأحبابه 82هـ . لأنه ترك بلاده هربا من السلطان بعد أن أهدر دمه .انظر: شعراؤنا ديوان جميل بثينة , جمعه وحققه وشرحه : د–إميل بديع يعقوب , دارالكتاب العربي بيروت – لبنان 1425هـ – 2004م ص: 10, 11, 14.

[97] – شرح ديوان جميل بثينة ,شرحه وقدم له :مهدي محمد ناصرالدين , دارالكتب العلمية– بيروت ط 1, 1407هـ جـ1 ص:60. انظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف و الجزء الثاني , ص :177

[4] – هو محمد بن عبدالله بن نمير بن خرشقة الثقفي النميري, من شعراء العصر الأموي مات في نحو سنة 90هـ. انظر: الأعلام للزركلي, الطبعة الثالثة (بدون تاريخ) جـ 7 ص:89.

[5] – هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب , أبو الوليد . ولد سنة ست وعشرين , وبويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير, فلم تصح خلافته , وبقي متغلبا على مصر والشام , وفي سنة خمس وسبعين حجّ بالناس عبد الملك الخليفة , وسيّرالحجاج أميرا على العراق.وكان أول من كتب في صدور الطوامير" قل هو الله أحد" وكان عبدالملك يقول : ولدت في رمضان , وفطمت في رمضان , وختمت القرآن في رمضان , وبلغت الحلم في رمضان , وولّيت في رمضان , وأتتني الخلافة في رمضان

أخليفــة الرحمن إنا معشــر حنفــاء نسجـد بكرة وأصـيلا

عــرب نرى لله فـي أموالنـا حق الزكاة مــنزلا تنزيــلا

إن السعاة عصوك يوم أمرتهـم وأتـوا دواهي لو علمت وغـولا

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه[1] بالأصبحيــة قائمــا مغلـولا

إن الذين أمــرتهـم أن يعدلوا لــم يفعلوا مما أمـرت فتيلا2

ويعرض الشاعر أيضا الشكوى على الخليفة عبدالملك بن مروان , موضحا فيها ظلم السعاة , مما ضاعفت الهموم والمشاكل, ويقول:

أبلغ أمـير المؤمنين رسـالة شكــوى إليك مظلة وعـويلا

من نازح كثرت إليك همومه لــو يستطيع إلى اللقاء سبيلا3

ويقول **الفرزدق**[4] **شاكياً**:

لئن قيس عيلان اشتكتني لمثل ما بها يتشكّى حين مضّت كلومها5

ويشكو **جرير**[6]:

إلى الله أشكو أن بالغور حاجة وأخرى إذا أبصرت نجدا بداليا !

, وأخشــى أن أموت في رمضــان , فلما دخل شــوّال وأمن , مات. انظر: تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن الســيوطي , ص: 245, 253, 254.و فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبي,تح: الدكتور إحسان عباس,دارصادر بيروت(بدون تاريخ) ص:402.

[1] – حَيْزُوم : (فَرَسُ جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ) رَكِبَ عليها إذْ أَتَى مُوسَى لِيَذْهَبٍ.. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ,جـ31 ص:480.

[2] – فَتيلاً أَي مِقدارَ تلكَ السَّحاةِ التي في شَقِّ النَّواةِ . انظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي , جـــ 30 ص:144. راجع للأبيات إلى :شـعرالراعي النميري, تح: الدكتور نوري حمودي القيســي , وهلال ناجي, مطبعة المجمع العراقي ســنة 1400م ص: 54 . وانظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف جـ 2 ص :209.

1. [102]– شعرالراعي النميري, تح: الدكتور نوري حمودي القيسي , وهلال ناجي, مطبعة المجمع العراقي سنة 1400م ص: 54.

[4] – هو همام بن غالب بن صــعصــعة من دارم , فمن تميم , كنيته أبو فراس,ولقبه الفرزدق,لقب به لغلاظة وجهه, ولد في البصــرة 114هـ وأصيب الفرزدق بذات الجنب فكانت سبب وفاته. انظر: ديوان الفرزدق ,دارصادر بيروت (بدون تاريخ) مج:1 ص: 5.

104– اشتكتني: أزالت شكواي, مضّت: أوجعت, الكلوم: الجروح, إن قيس عيلان أزالت شكواه حين أصابتها الجروح الموجعة. انظر:ديوان الفرزدق,قدم له وشرحه مجيد طراد, دارالكتاب العربي,بيروت– لبنان,الجزء الأول,ص:338.

[6] – ولد في سنة 33هــ ,وتوفي سنة 114هــ . هو جرير بن عطية , بن حذيفة الملقب بالخطفي . ولد في اليمامة. انظر: شعراؤنا شرح ديوان جرير قدم له , وشرحه: تاج الدين سلق, دار الكتاب العربي بيروت – لبنان 1425هـ - 2005م, ص: 4.

إذا نحن في دارالجميع,كأنّما يكون علينا نصف حول ليالي[1]

ويشتكي **الشاعر كعب الأشقري**[2] ظلم العمال وشدّتهم :

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تجلّد بالسيوف رقاب [3]

ويظهر من هنا أن شعر الشكوى استجاب لرسالة الإسلام صدقا وأمانة وإخلاصا وفكرة طيبة لتطهير نفوس الناس وتهذيب أخلاقهم المليئة بالفسق والجور. فالشعر كان تعبيرا صادقا عن الإحساسات البشرية وعمّا يجري في المجتمع. وكان أثر الإسلام واضحا في ألفاظه ومعانيه.

العصر العباسي

في هذا العصر تطوّرالشعر تطورًا كبيرًا في أغراضه ومعانيه وفي أسلوبه الفني، لغة و وزنًا وقافية. وهذه كانت نتيجة الاختلاط بشتى الأجناس البشرية ، وتقدّم العلوم الدينية واللغوية والأدبية، واتساع حركة التأليف، وظهور المعارف الفلسفية. وفي هذا العصر ظهر الشعراء المحدثون مثل بشار[4] وأبي نواس[5] والطغرائي"[6]. "ونشأ صراع حاد بين أولئك المحدثين والمحافظين فيما يسمى اصطلاحًا قضية عمود الشعر. وكانت الحضارة العباسية متميزة بنضج عقلي لذا كثرت الشكوى لما واجه الناس في القرن الرابع الهجري بضروب من المحن

106- شرح ديوان جرير,ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي,ن:دارالكتاب اللبناني,بيروت- لبنان,ص:708.

[2] – هو كعب بن معدان الأشقري, والأشاقر قبيلة من الأزد, وأمه من عبدالقيس شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان, من أصحاب المهلب . وهو شاعر عماني عاش في العهد الأموي. انظر: الأغاني للأصفهاني (ت356هـ), دار الفكر (بدون التاريخ) جـ 13 ص: 54. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة, مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى 1993م , جـ 2 ص: 669. والأعلام للزركلي, دار العلم للملايين لبنان- الطبعة الخامسة 1980م, جـ 5 ص: 229.

[3] – الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام للدكتور علي الشعيبي (قد سبقت الإشارة إليه),جـ 1 ص: 224.

[4] – هو بشار بن برد بن يرجوخ العقبلي بالولاء , ولد بشار بالبصرة . وتوفي سنة 167هـ. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات, ص:263, 264.

[5] – هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي. يكنى بأبي نواس. ولد بقرية من قرى الأهواز سنة 145هـ, وتوفي ببغداد سنة 199هـ. انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات,ص:272.

[6] – هو العميد أبو إسماعيل الحسين بن على المعروف بالطرائي . ولد بأصبهان من أسرة فارسية . وتوفي سنة 513هـ .انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات,ص:287,288.

والنكبات".[1] وفي هذا العصر انقسمت الدولة الإسلامية إلى دويلات كثيرة, مما أدّى إلى ازدياد المشاكل والنوائب والفقر والتسلط والظلم, وقد لجأ الشعراء إلى الشكوى معبرين عن مظاهر الفساد والفقر وسوء المعيشة, يقول **العباس بن الأحنف**[2]:

يا أيّها الجائرُ في حكمهِ هلمَّ إن شئت إلى حاكمِ
ما أنتَ بالمحسِنِ فيما نَرَى منكَ وَلا وَصْلُكَ بالدّائِمِ
أبِيتُ لَيلي كُلَّهُ هائِماً لَسْتُ بيَقظَانَ وَلا نائِمِ
جاوزتَ في الجورِ المدى كلَّهُ يا حِبُّ لَوْ أنصَفتَ لم تَأثَمِ[3]

ويقول **الكندي الفيلسوف**[4] يشتكي فساد الأحوال السياسية وتولية المناصب غير أهلها, فقد ساد الظلم لسبب تقلّب الأحوال السياسية واضطرب القيم:

أناف[5] الذنابي[6] على الأرؤس فغمّض جفونك أو نكّس[7]
وضائل سوادك واقبض يديك وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلوّ وبالوحدة اليوم فاستأنس
فإن الغنى في قلوب الرجال وإن التعزّز بالأنفس
وكائن ترى من أخي عسرة غنّى وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت على أنه بعد لم يرمس[8]

112- الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي د.محمد عبد المنعم خفاجي, دار الجيل بيروت 1410هـ -1990م ص: 81,82,104.وانظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة د. أحمد هيكل, دارالمعارف – 1119 كورنيش النيل – القاهرة, الطبعة العاشرة 1986م , ص: 81, 127.

[2] – – كان العباس بن الأحنف أشهر شعراء الغزل في عصر بني العباس ,ولا يكاد يعرف له شعر في غير الغزل. وهو من أولاد العرب النازلة في خراسان ونشأ ببغداد, وتوفي سنة 188هـ .تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان , جـ 2ص: 23.

114- ديوان ابي الفضل بن الأحنف, دارصادر بيروت 1978م جـ1 , ص: 300.

[4] – هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي الفيلسوف, توفي سنة 246هـ. انظر: من تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول لطه حسين العصرالعباسي الأول (القرن الثاني) ,دارالعلم للملايين بيروت ,الطبعة الثانية 1976 جـ 2 ص:464.

[5] – (أناف) الشيء ارتفع يقال أناف البناء والعدد زاد على العقد وعليه أشرف .انظر: المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار جـ2 ص:964.

[6] – (الذنابى) الذنب ويقال هم ذنابى فلان أتباعه. انظر: المصدر نفسه, جـ 1 ص:316.

[7] – (نكس)الشيء نكسا قلبه جعل أعلاه أسفله أو مقدمه مؤخره ورأسه طأطأه من خزي والطعام وغيره داء المريض أعاده مرة أخرى ويقال نكسه في ذلك الأمر رده فيه بعد ما خرج منه. انظر: المصدر نفسه, جـ2ص:952.

119- تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الثاني د.شوقي ضيف دارالمعارف -القاهرة 2001م الطبعة الثانية عشرة.ص:241

وفي **العصر العباسي الثاني**, تقدمت الشكوى, وتنوعت, وتوسعت, وشاعت الشكوى من الدهر ومن الناس, وهي شكوى قديمة, غير أنها اتسعت في هذا العصر سعة شديدة, لما شاع فيه من كثرة البؤس والضنك في حياة الشعب.

و"كما ظهر شعر الشكوى من البؤس، الذي كان تعبيرًا عن بعض مظاهر الفقر ,يقول **ابن الرومي**[1]:

ومدّ ذو العَيْلة فيه الإصْبعـا يشكو إلى اللهِ ويَمري[2] المدمعا

وأصبح القومُ البِانُ جَوَّعـا وخَشي الجـائعُ أن لا يشبعـا3

وكذلك ضاق **الشاعر** بالحياة حتى أصبح متشائما "فالحياة كلّها سواد وكلّها ظلام وكلها بلاء لا يطاق,ويصور ذلك تصويرا بديعا في بكاء الطفل حين ولادته, يقول:

لما تؤذن الدنيـا به من صروفها يكـون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيـه منهـا وإنها لأفْسَحُ ممَّا كان فيـه وأرْغَدُ[4]

إذا أبصرَ الدنيا اسْتَهـلَّ[5] كأنه بما سوف يلقى من أذاها يُهَدَّدُ[6]

وللنفس أحْوال تظـلُّ كأنهـا تشاهِد فيها كلَّ غيب سيُشهَـدُ7

" فالدنيا آلام ثقال وأهوال طوال , والطفل يشعر بذلك ساعة ولادته فيبكي بكاء مرا "[8]

---

[1] – ولد ابن الرومي سنة 221. وأنه مات بين سنة ست وسبعين ومائتين وسنة أربع وثمانين ومائتين. وأنه مات مسموما ,وأن الذي سمه أو من سمه هو القاسم بن عبدالله وزير المعتضد,كان يكرهه ويشفق منه فأغرى به من أطعمه شيئا فيه السم. أن كان سيء الحظ في حياته, لم يكن محببا إلى الناس وإنما كان بغيضا إليهم وكان محسدا أيضا.فقد كان حاد المزاج مضطربه معتل الطبع ضعيف الأعصاب.فهو شاعر مطيل ومطيل جدا , يبلغ بقصيدته المئات من الأبيات. انظر:من تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول (القرن الثاني) لطه حسين , جـــ 2 ص: 373,376.

[2] – (مري) الميم والراء والحرف المعتل أصلانِ صحيحان يدلُّ [أحدُهما] على مسحِ شيءٍ واستِدرار، والآخر على صلابةٍ في شيء.وانظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا جـ5ص:314.

[1]22 – ديوان ابن الرومي, شرح الأستاذ أحمد حسن بسج, دارالكتب العلمية بيروت – لبنان , الطبعة الثامنة 1423هـ - 2002م جـ1 , ص:2726.

[4] – (أرغد) صار في رغد من العيش أو أخصب وأصاب عيشا واسعا وعيشه جعله رغدا. وانظر:المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار جـ1ص:357.

[5] – (استهل) الصبي رفع صوته بالبكاء وصاح عند الولادة والشهر أهل ويقال استهللنا الشهر ابتدأناه أو رأينا هلاله والمطر هل والعين انهلت والوجه تهلل وفلان الهلال أهله والسيف استله. وانظر: المصدر نفسه , جـ2ص:992.

[6] – يهدد من هدد : (*!الهَدُّ : الهَدْمُ الشَّدِيدُ) ، وهو نَقْضُ البِنَاءِ وإِسْقَاطُه.وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي جـ9ص:335.

126- ديوان ابن الرومي, جـ 1 ص: 53

127- تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف العصر العباسي ص: 242

و في هذا العصر استخدم الشعراء الصنعة اللفظية والبديع بإسراف, وجمعوا التكلف و الرمز والفلسفة بالدقة والعمق وهذه تتفاوت من شاعر لآخر, وهذا كله بسبب اتصال الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى, يقول ابن خلدون: "وعلى مقدار عمران البلد يكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ , واستجادة ما يطلب منها , بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة"[1]

ويشتكي **البحتري**[2] في أسلوب بديع:

قد تطلبت مخرجا من هواه فلم أجد

ضاق صدري بما أجـ ـن وقلبي بما وجد

وتغضبت أن شكو ت جوى الحب والكمد[3]

واشتكائى هواك ذنـ ـب فإن تعف لم أعد[4]

ويقول **ابن المعتز**[5] شاكيا من أحوال الحرمان والنكد:

لم يبق في العيش غيرالبؤس والنكد فاهرب إلى الموت من همّ ومن نكد[6]

ملأت يا دهر عيني من مكارهها يا دهر حسبك قد أسرفت فاقتصد[7]

وظهرت موضوعات الشكوى الجديدة إلى جانب موضوعاتها القديمة لمعاناة الحياة المعاصرة ,كما يقول **المتنبي** شاكيا من كثرة موانع البرد والثلج التي تمنع النبات من الظهور:

ما للمروج[8] الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق[9]

---

[1]– مقدمة ابن خلدون للعلامة ابن خلدون,مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت– لبنان(بدون تاريخ) ص: 281, وانظر: الأدب العربي وتاريخه –العصرين في الأموي والعباسي للدكتور محمد عبدالمنعم الخفاجي, ص: 107.

[2] – ولد في سنة 205هـ بمنبج, وقيل بزردفنة. وتوفي سنة 284هـ . وانظر: ديوان البحتري , دارصادر بيروت (بدون تاريخ) مج:1 ص: 5.

[3] – الكَمَدُ ، مُحَرَّكَةً : الحُزْنُ الشديد. وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي جـ9ص:113.

131– العصرين في الأموي والعباسي للدكتور محمد عبدالمنعم الخفاجي, دارالجيل بيروت , 1410هـ – 1990م, ص: 108.

[5] – ولد ابن المعتز في مدينة سامراء سنة 248هـ في عهد جدّه الخليفة المتوكل وهو عهد زاهر من أجمل عهود الخلافة العباسية وأكثرها ازدهارا وتوفي سنة 296هـ . انظر: شعراؤنا ديوان ابن المعتز شرحه مجيد طراد , جـ 1 ص: 7,15. وطبقات الشعراء لابن المعتز , ص: 8,9.

[6] – (نكد) نكدا ونكادا شؤم والأمر عسر وعيشه اشتد والشيء نزر وقل يقال نكد ماء البئر ويقال نكد فلان قل عطاؤه أو لم يعط البتة ونكد بحاجتنا بخل بها فهو نكد ونكد (ج) أنكاد وهو أنكد وهي نكداء (ج) نكد. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار جـ2 ص:951.

134– تاريخ الأدب العربي– العصر العباسي لشوقي ضيف ص: 242.

[8] – (المرج) أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدواب (ج) مروج. وانظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات ـــ حامد عبد القادر ـ محمد النجار جـ2ص:861.

1. 136 – شرح ديوان المتني , تاليف : عبد الرحمن البرقوقي , المطبعة الرحمانية بمصر ,1348هـ – 1930م.

وهكذا تعكس هذه الشكوى ثقافة ذلك العصر والأوضاع الاجتماعية والسياسية السيئة.

وتحول مسار الشكوى من الزمان إلى ضرب من التشاؤم الشديد كما اشتكى **الشاعرالمتنبي** من الدهر متعبا ويائسا لما جمعت المصائب عليه, وتكسر فؤاده,يقول:

رماني الدهر بالأرزاء[1] حتـى فـؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهـــام تكسرت النصال على النصـال 2

ولكن موضوعات الشكوى القديمة بقيت نحو شكوى الزمان , وأهله , وسوء الحال , وسخط الإنسان وفقره .

كما يقول **مهيار الديلمي**[3] شاكيا جفوة الأيام:

أشكو إلى الأيَّام جفوتهـــا شكـوى يدِ العاني[4] إلى الكبلِ5

وهكذا اتسعت الشكوى حسب معطيات العصر , وتنوعت معانيها واستحدثت ألفاظها , وظهرت قصائد الشكوى مستقلة بدون أن تضم معها غرضا آخر.

الشعر في العصر الحديث

وظهرت نهضـة فنية في الشـعر العربي الحديث. وكان للشـعر أنماط متنوعة في التعبير والصـياغة والأفكار والموضوعات. وتعددت اتجاهات الشعراء ومدارسهم مثل مدرسة الإحياء والديوان وأبولو والمهجر والمدرسة الحديثة، وأثرت الأحداث السياسية في الشعر العربي الحديث بسبب الاستعمار الغربي ممّا أدّى إلى حدوث الحروب المتعددة فازدادت المشـاكل الإنسـانية كالدمار والتخلف والفسـاد والظلم والنفي والهجرة في هذا

جـ1 , ص: 365.

[1] – [رزأ] الرزء: المصيبة، والجمع: الأرزاء. وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري جـ1ص:53.

138– ديوان المتنبي شرح عبدالرحمن البرقوقي , دارالكتاب العربي – بيروت ,1986م جـ 3 ص: 141.

[3] – هوأبوالحسين مهيار بن مرزويه الديلمي، الفارسي الأصل. من شعراء الشيعة بالعراق. ولُد في بغداد سنة 360هـ ونشأ مجوسيًا على دين آبائه. اهتم أبوه بتعليمه العربية، فلما شبَّ التحق كاتبًا بالدواوين. لزم الشريف الرَّضِي شاعر العلويين ونقيبهم في بغداد، وأسلم على يديه سنة 394هـ. تخرج على يد الشريف الرضي في الشعر, وتوفي سنة 428هـ. وانظر:تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان,جـ 2 ص: 65.

[4] – (العاني) الذليل والأسير. المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار جـ2ص:633.

[5]– (الكبل) القيد من أي شيء كان (ج) أكبل وكبول وأكبال. وانظر: المصدر نفسه,جـ 2 ص:774.وراجع للأبيات ديوان مهيار الديلمي, مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة , الطبعة الأولى 1345هـ- 1926م.جـ1 , ص: 1750.

العصر. وخاصة ما ساد في النصف الأول من القرن العشرين من الاضطراب والفوضى والقلق, فهزّت قلوب الشـــعراء, وفاضـــت قرائحهم لما شـــاهدوا من هزائم ونكســـات, وأعمال خيانة وغدر, وجفاء الإخوان والأصدقاء,والأعداء , وما تلقّى المسلمون من الإهانة والذلّة بأيدي الحكام الأجانب. وشعر الشعراء بواقع الحياة المرير الذي يكافحونه, والظلم الذي يكابدونه, والجفاء الذي يلاقونه من الأصدقاء والأعداء. فتكلموا عن الحياة والإنسـان. ويمكن أن نسـمّى القرن العشـرين بقرن الشـكوى والألم بسـبب هذه الظروف القاسـية المؤلمة.

ويشـكو الشـاعر **محمود سـامي البارودي**[1] من الفراق والبين وفرط لوعته لاشـتراكه في حرب البلقان التي حدثت بين الروس والدولة العثمانية سنة1878م.

سري بهم سيرالغمـــام كأنمـا له في تنائي كل ذي خلة قصد

فلا عين إلا وهي عين من البكاء ولاخـد إلا للدموع به خد2

ويرفع الشاعر أيضا الشكوى إلى الله لعادات المجتمع الفاسدة حتى سئم الشاعر مكانته بينهم, ورفض حياته الطيبة إذا لم يتمكن من إصلاح هذا المجتمع:

إلى الله أشكو أنني بين معشـر سواء لديهم طيب وخبـــيث

لهم ألسن إن رمن أمرا بلغنـه من النفس مصنوع لهـنّ حديث

ترث على قرب الوداد عهودهم وكيف يدوم الشيء وهو رثيث[3]

فليس لهم في سالم الدهر محتد[4] قديم , ولا في المكرمات حـديث

برمت بهم حتى سئمت مكانتي وأنكرت طيب العيش وهو دميث[5]

---

[1] – هو ابن حسـن بك حسـني مدير دنقله وبربر على عهد محمد على باشـا. ولد بالقاهرة وشـبل في نعمة أبيه . وكان مولعا بحفظ الشـعر وإنشاده. فأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء العرب حتى شب فصيح اللسان, مطبوعا على الإعبراب دون علم بالنحو.ثم فاض ما حفظ على لسانه فانطلق برائق الشعر في الأغراض المختلفة. وتوفي سنة 1904م.انظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ,ص: 492.

2- 143- في الأدب المعاصر في مصرللدكتورمحروس منشاوي الجالي, دارالطباعة المحمدية –القاهرة ,الطبعة الأولى 1399هـ – 1979م, ص:48

[3] – (الرثيث) الجريح وبه رمق (ج) رثاث أو الخلق البالي أو رديء المتاع وسـقط البيت.وانظر: المعجم الوسـيط إبراهيم مصـطفى ـــ أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار جـ1ص:328.

[4] – المحْتِدُ هو الأصل من(حتد) وهو استِقرار الشَّيءِ وثباتُهُ. وانظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا جـ2ص:135.

[5] –(دَمِيثٌ) الرَّجُلِ السَّهْلِ الطَّلْقِ الكَرِيمِ , وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي جـ5ص:252.

إذا لم يغثني الله منهم بفضله فما لي بين العالمين مغيث[1]

و"اتجه الشاعر إلى التجدد والتنوع والتعبير عن الأحاسيس الذاتية والحياة المعاصرة والقضايا القومية؛ كما أنه ابتعد عن الأمور الشخصية التافهة واتجه إلى الأمور العامة كوصف الطبيعة والحروب والمعارك والشوق إلى مصر؛ ,الحض على البطولة؛ ووصف الليل والنيل؛ وشكوى زمنه ومن حوله من المنافقين كقوله:

أنا في زمان غادر، ومعاشر يتلونون تلون الحرباء[2]

و "الشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي , سواء كانت تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو,أم عن موقف إنساني عام ولذا كان في طبيعة التجربة والتعبير عنها ما يحمل الجمهور على تتبعها , لأنه يتوقع أن يرى فيها ما يتجاوب وطبيعة التجربة التي جعلها الشاعر موضع خواطره ليجلو صورتها , كما يصوّر **الشاعر محمد إسماعيل الصبري**[3] شاكيا من فظائع الإنجليز وما ساموا أهل هذه القرية من الخسف والقتل وعذاب السجون في حادثة دنشواري, يقول:

إن أنّ فيها بائس مما به أو رنّ جاوبه[4] هناك مطوّق

ومضاجع القوم النيام أواهل بمعذب يردى وآخر يرهق[5]

لن تبلغ الجرحى شفاء كاملا مادام جارحها المهنّد[6] يبرق[7]

147- معجم أجمل ما كتب في الشعر العربي, إعداد حامد كمال عبد الله حسين العربي,الناشر: دار المعالي عمان ,صويلح الأردن ,دار التوزيع والتسويف الدولية الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م ص: 71

148- مقالة "الوافي في الأدب العربي الحديث , مدارس "الشعرفي العصرالحديث", إعداد: جمال الدين أحمد مدرّس أول اللغة العربية بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا, الجزء الأول ص:3.

149-هو شاعرمصري ,ولد في القاهرة سنة 1854م لأسرة متوسطة, وأخذ يختلف منذ نشأته إلى المدارس على غرار نظرائه من أبناء هذا الزمان , وكان معاصروه يلقبونه (شيخ الشعراء)ويجمع معاصروه على أنه كان رقيقا دمثا وديعا حلو النادرة , وهو من هذه الناحية يمثّل رقّة أهل القاهرة وما يشتهرون به من خفة الظل ولطف الحس, وتوفي في سنة 1923م. انظر: الأدب العربي المعاصر في مصر للدكتور شوقي ضيف ,دار المعارف ج م ع , الطبعة العاشرة 1992م, ص: 98 92,93.

[4] - (جاوبه) مجاوبة وجوابا رد كل منهما على الآخر. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار جـ 1ص:144.

[5] - يرهق أي يغشى. وانظر: لسان العرب لابن منظور, جـ10ص:128.

[6] - (المهند) السيف المطبوع من حديد الهند وكان خير الحديد. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر . محمد النجار جـ2ص:997.

[7] - المرجع نفسه, ص : 98.

يشكو الشاعر **مسعود سماحة**[1] من الاحتلال الغربي في سوريا:

بلـد يموت وأمة تتـألّم والدهـر بينهما أصم أبكم

حلّت بسوريا الخطوب عظيمة واجتاح لبنان القضـاء المبرم[2]

حييت يا أرض الجبابرة الألى خاضوا البحار فعلّموا وتعلّموا

ويصوّر **الشاعر أحمدزكي أبوشادي**[3] وحشية الفرنسيين شاكيا في أسر الأمير عبدالكريم الخطابي[4] في قصيدته" الأسد الأسير"ويقول:

أكذا تروع مصـائب الأبطـال أكـذا تهول مصارع الآمـال

أكذا تكون بك الهزيمة نصرة لمطامـح الجيـل الأبي التالي[5]

يشكو جميل صدقي الزهاوي[6]:

أشكو إلى الله عيشـــا مـــرا وداء عقـامـا7

ليس النواميس في عـا لـم الـوجـود لزامـا

---

[1] – ولد في ديرالقمر لبنان من أبوين شـويرين في سنة 1882م وتوفي في سنة 1946م. وله ديوان شعر ضـخم جامع باسـم "ديوان مسـعود سماحة" وشعره في نفس المرجع , وانظر: تاريخ الشعرالعربي الحديث لأحمد قبش, ص:291,292.

[2] – المِبْرَمُ الذي يَفْتَلِعُ حِجارةَ البِرامِ من الجبل ويقطَعُها ويُسَوِّيها ويَنْحَتها. انظر: لسان العرب لابن منظور,جـ12ص:43.

[3] – ولد أحمد زكي أبوشادي عام 1892م بحي عابدين من مدينة القاهرة , وتوفي سنة 1955م. وآثاره: دواوينه " أنداء الفجر", و"زينب" , و"مصريات" و" أنين ورنين" و"رجع الصدى" و"الشفق الباكي"وغيرها. انظر: تاريخ الشعر العربي الحديث لأحمد قبش, ص:236, 237.

[4] – ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة (1299هـــ= 1881م) في بلدة "أجدير" قرب الحسيمة المغربية، ونشأ تحت كنف والده، الذي كان يتزعم قبيلة "بني وريـاغل"، وقد حفظ الصبي الصغير القرآن الكريم، ثم أرسله أبوه إلى جامعة القرويين بمدينة (فاس) لدراسة العلوم الشرعية واللغوية، وبعد تخرجه من الجامعة عاد إلى مليلية، واشـتغل بالقضـاء الشـرعي، وفي الوقت نفسـه عمل في تحرير جريدة "تلغراف الريف"، وقد ساعد كل ذلك على تكوين شخصية الخطابي الذي كانت الأقدار تعد له أعظم المهام وقيادة إقليمه في مواجهة الاستعمار الإسباني والفرنسي. وتوفي سنة 2009م. انظر:
http://ar.jurispedia.org/index.php/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8%D9%8A

158– تاريخ الشعرالعربي الحديث لأحمد قبش, ص: 242.

[6] – هو شاعر عراقي . ولد في بغداد 1279هـ ويشكو فوق آلامه الروحية آلاما عصبية . وشعره في نفس المرجع , انظر: الأدب العصري في العراق العربي لرفائيل بطي , قسم المنظوم ,المطبعة السلفية – بمصر بنفقة والتزام المكتبة العربية –ببغداد لصاحبها : نعمان الأعظمي الطبعة الأولى 1341هـ – 1923م جـ 1 ص:7.

[7] –(العقام) العقام ويقال رجل عقام لا يولد له. انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار, جـ2ص:217.

فقد وجدت نظـامــا ومــا وجـدت نظامـا[1]

فكان شعر الشكوى خير تمثيل لحياة العرب في العصر الجاهلي عندما كان الخلل في النفوس والمجتمع. وكان سجلا أدبيا وتاريخيا وتصويرا صادقا لحياة المجتمع.

وفي العصر الإسلامي تأثر شعر الشكوى وأسلوبه بدعوة الإسلام.وامتدّ نطاق الشكوى إلى الولاة والأمراء ,ورفع الشعراء صدى الشكوى إليهم لظلمهم وشدتهم موضّحين المشاكل الاجتماعية والسياسية لإصلاح المجتمع وتهذيب النفوس . ولجأ الشعراء إلى الله في شكواهم متأثرين بتعليم الإسلام لأن الله سبحانه وتعالى معين وكاشف البلاء.

وكذلك في العصر العباسي كثرت الشكوى لانقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة لسبب الاختلاف والانتشـار بين الأمراء وعامة الناس, وازداد الظلم والفسـاد والفقر. وهذه الظروف السـياسـية واضـطراب الأحوال هي التي أرهقت نفوس هؤلاء الشـعراء, وأصـابتهم بحالة من الحزن والتشـاؤم واليأس, وقادتهم نحو الشكوى. وصور الشعراء التجارب الذاتية والأوضاع الاجتماعية والسياسية والهواجس النفسية رغبة في الإصلاح في أسلوب دافق بالحرارة والحياة.

وفي العصر الحديث, ذكر الشعراء في شعرهم أحوال الشعوب التي عايشوها وكل ما ألم بها من محن وخطوب .ولهذا عندما نشبت الحروب المتعددة للاستعمار, وكثر الدمار والتخريب والفساد والجور. وعاش الشعراء في هذه المشـاكل, فأحسـوا بألم بشـري وعبّروا عنه في شـعرهم.و ظلّ الشـعراء النجوم المتلألئة التي نوّرت طريق المجتمع المظلمة, وأرشدته في كل زمن حسب معطيات العصر, واستنهضوا بشعورهم الحي خامد الهمم.

[1] - نفس المرجع ,ص: 30.